أصول تداولية في الأمثال العربية (قراءة في كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري)

Pragmatic Foundations in Arabic Proverbs: Reading Jamharat al-Amthal by Abu Hilal Al-Askari

د . عبدالسلام ميلاد جبريل

كلية التربية. جامعة وادي الشاطئ (ليبيا) a.mohamed@wau.edu.ly

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2025 /05 /17	2025 / 05 /27	2025 /06 /01

مُلَخَّصُ البَحث

يهدف البحث إلى بيان بعض ملامح التفكير التداولي في أدب الأمثال في مدونة جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (310 هـ)، وركز البحث على أهم المفاهيم والقواعد التي جدَّت في الدرس التداولي الغربي مثل: مفهوم الاستعمال اللغوي، الفعل الكلامي، والسياق، مبدأ التعاون الكلامي، والقصد، وتعرض البحث لبيان مفهوم المثل ومنزلته الأدبية وأهميته كما بينته الثقافة التراثية العربية، فتبين من البحث أن تفكير أبي العسكري ودراسته للأمثال قد تضمن اشارات وملامح تؤصل لكثير من المفاهيم والقواعد التداولية في الدرس الغربي.

الكلمات المفاتيح: الأمثال- العسكري - الفعل الكلامي - التعاون الكلامي - القصد .

Abstract

This research aims atclarifying somefeatures of Pragmaticmeditation in proverbliterature in the book"JamharatAl'Amthal" composed by "AbuHilal Al-Askary" (310 H). This research focused on the most important concept and foundation developed in the western Pragmatic study such as: the concept of linguistic usage, speech act, context, principle of Speech cooperationand intention.

This research also studied the clarification of proverb concept and its literarycategory and position, and its importance as it was clarified by Arabic culture and heritage. Thisresearch proved that Abu Hilal Al-Askary'sthought and studyof proverbs contain indicationsand featureswhich give a firm consolidation to numerous pragmatic concepts and rules in the Western study.

Keywords: Proverbs,AlAskary, Speech act, Principle of Speech co-operation, intension.

1. مقدمة:

تُمثِّلُ الأمثال في التراث العربي نوعاً من الخطاب الأدبي، له خصائصه البنيوية والتداولية والأمثال هي أقوال تجري على ألسنة متكلمي اللغة ومستعملها، لذلك يمكن تحليلها تداولياً في ضوء المبادئ والقواعد التداولية التي جَدَّتْ في الدرس اللساني بجهود فريق من علماء اللغة وفلاسفتها منهم: أوستين، وسيرل، غرايس وغيرهم، ومن تلك القواعد مثلا: الفعل الكلامي، الاستلزام الحواري، والسياق، القصد ...وعلماء العرب ليسوا بعيدين من ذلك كما يبدو في تفكيرهم وجهودهم العلمية وتعاملهم مع الحطاب الأدبي بأجناسه المختلفة والأمثال على وجه التخصيص.

ومن هنا يأتي سؤال الإشكالية الرئيس لهذا البحث؛ هل تتضمن الأمثال مبادئ وقواعد تداولية؟ وكيف يبدو مبدأ التعاون الكلامي في المثل؟ وما مدى تحقق مفهوم الفعل الكلامي في المثل؟ هل تعتمد الأمثال بوصفها كلاما على القصد؟

للإجابة على تلك التساؤلات قصد الباحث إحدى مدونات الأمثال العربية وهو كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري؛ لدراسة وتحليل بعض الأمثال في ضوء المقاربة التداولية وما انبثق عنها من قواعد ومبادئ.

يهدف البحث إلى إبراز دور العلماء العرب في التأصيل لبعض قواعد ومبادئ الدرس التداولي بغية أحياء الفكر التداولي عند العرب.

وتكمن أهمية هذا البحث في إعادة قراءة الأمثال العربية بوصفها خطاباً إبداعيا يتجلى فيه مفهوم الاستعمال اللغوي في أوضح صوره.

يسير الباحث في تتبع جزئيات البحث وفق المنهج الوصفي المعتمد على آلية الاستقراء والتحليل وشرح نماذج الأمثال المختارة ووصفها وتحليلها تداوليا .

2.العسكري وجمهرة الأمثال (التأليف والمنهج):

1.2. صاحب كتاب جمهرة الأمثال:

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد يحي بن مهران، والعسكري نسب لحقه من بلدته التي ولد فيها تُدْعَى(عَسْكَرُ مُكرَم) تتبع بلدة (كورة الأهواز) تقع في بلاد فارس شرق العراق ، لم يذكر أصحاب التراجم تاريخا محددا لولادته، وقدره بعضهم سنة (310 ه) (طبانة، 1988، ص21) وذكروا أن وفاته سنة(395ه)، وكان منقطعا للعلم، ومنصرفا عن الدنيا مشتغلا بالتجارة، معتمدا على نفسه في كسب عيشه بعيدا عن التَّزلُّفِ والتقرُّبِ لرجال الدولة في عصره (العسكري، (د . ت)، ص 27).

ويعد كتابه جمهرة الأمثال من الكتب التراثية التي جمعت أمثال العرب، وحاول أن يأتي على جلها، وحوى الكتاب على ما يقارب اثنين وسبعون وسبعمائة وألف مثل، رتبها ترتيبا منهجيا ألفبائيا، وصنفها في أبواب، بحيث يفهرس الأمثال أولا مبتدئاً بحرف الألف، ثم يأتي على تفسيرها وتوضحها وفق سياقاتها ومضاربها وموارداها وما جرى معها من حكايات وأشعار وهكذا يفعل في كل باب وحرف (العسكري، 1988،ص 502).

3.المثل مدلوله وأهميته:

1.3.ما المثل ؟

نطرح هذا السؤال مدخلا للحديث عن الأمثال والتعريف بها كما أوردتها المدونات المعجمية العربية؛ فذكر ابن منظور أن كلمة مَثَل؛ تعني: الشيء يضرب لشيء فيجعله مثله، والمثل: الحديث نفسه (ابن منظور، 2008، ج8، ص231)، والمثل ما يضرب به من الأمثال، ومَثَلُ الشيء:صفته، وتمثّل به: تشبّه به ومثّل الشيء بالشيء سوّى به وقدّر تقديره (الزمخشري، 2000، ص349).

وأما في اصطلاح الأدباء فيعرِّفه المرزوقيُّ بأنه: "جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، تتسم بالقبول، ويشتهر بالتداول، فتنقل عم وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها" (المرزوقي ، 1951 ، ص 156) .

ويعكس قول المرزوقيّ تأصُّيل بعض الخصائص التداولية للمثل من حيث اعتباره (قول)، محدود الكم (مقتضب)، يقتضي مخاطِب يرسل القول ومخاطَب يتلقى القول ويقبله وفق طبيعته الدلالية، (متداول)؛ أي مندرج في إطار الاستعمال اللغوي، ويضاف إلى تلك الخصائص خاصية القصد.

ومن التعريفات المستحسنة للمثل ما ذكره أميل يعقوب وهو قوله: "المثل عبارة موجزة يستحسنها الناس شكلا ومضمونا فتنتشر فيما بينهم، ويتناقلها الخلف عن السلف دون تغير متمثلين بها غالبا في حالات مشابهة لما ضرب لها المثل أصلا وإن جهل هذا الأصل" (يعقوب، 1993، ج1، ص42).

ووجه الاستحسان في هذا التعريف أنه أشار إلى البنية اللغوية للمثل في كونها شكلا لغويا يتفق مع البناء اللغوي صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة ولم يغفل الأبعاد التداولية للمثل وخصوصا الاستعمال وخاصية التخاطب وملابسات السياق.

2.3.منزلة المثل:

تمثل الأمثال مرآة تعكس طبيعة الشعوب، وتكون مختصرة بكلمات قليلة وقصص طويلة، تعبر عن موقف، وقد تصف حالة، وهى تشمل أغلب ميادين الحياة .

والأمثال: هي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق وبكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خصال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه (السيوطي، 1998 ، ج1، ص374).

3.3.أدبية المثل:

يقصد بأدبية المثل بيان موقعها بين الأجناس الأدبية؛ لذلك نقول: إن الأمثال جنس من أجناس الأدب في حياة الشعوب، بل يرى ابن عبد ربه أنه يفوق الشعر والخطابة في بعض الجوانب الأدبية وخاصة في الشهرة والذيوع والانتشار فهو على حد قوله: " أنقى من الشعر، وأشرف من الخطابة لم يسر شيء سيرها، وعمَّ عمومها، حتى قيل أسير من مثل" (ابن عبد ربه، 1305هـ ، ج3 ، ص63) والأمثال ثروة أدبية غنية ونتاج فكري، يحمل في طياته مناحي متعددة من آداب الشعوب ومعارفهم (داود،، 2005 ، ص4 .)، وهي أيضاً موروث ثقافي حضاري عبر السياق الزمني للحضارة العربية الإسلامية على مرِّ دهورها وتعاقب عصورها تزامن مع قول الشعر وامتزج به أحيانا، قيلت الأمثال وجرت على الألسنة، وتداولها أبناء اللغة فيما بينهم نطقا وكلاما، وجمعتها الأقلام في الصحف والأوراق نظاما، فألفت المؤلفات وصنفت المصنفات فجمعت فيها

الأمثال لحفظها وتذكرها والتمثل بها متى استدعت ذلك المواقف والسياقات، وللأمثال أهمية كبيرة في الحياة العامة ،يقول الميداني نقلاً عن ابن المقفع: " إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وآنف للسمع، وأوسع لشعب الحديث" (الميداني، 2004، ص5) .

يقول الزمخشري عن الأمثال: "هي قصارى فصاحة العرب العرباء وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبيضة منطقها، وزبدة حوارها وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة ..." (الزمخشري، 1988، ص194).

تعتبر الأمثال موسوعة كبيرة نتمكن من خلالها معرفة أحوال العرب في جاهليتهم وإسلامهم، ومزايا لغة الناطقين بلغة القرآن الكريم ،فهي مرآة تعكس أحوال الناس الاقتصادية والذهنية، وهي أشبه بالميزان نزن بواسطته رقى الشعوب وانحطاطها.

4. ملامح التفكير التداولي في كتاب جمهرة الأمثال:

نبدأ الحديث تحت هذا المطلب بطرح عدد من الأسئلة من قبيل، كيف تبدو المظاهر التداولية في المثل؟ وإذا كانت التداولية تعني حال اللغة في الاستعمال، فما موقع المثل من الاستعمال والتداول؟ هل يمكن اعتبار المثل فعلا إنشائيا؟ وما طبيعة الأفعال التي يمكن إنجازها بقولنا مثلا ما؟ ماذا يقصد بالاستلزام الحواري في المثل؟ وإلى أي مدى يمكن تحقق مبدأ التعاون الكلامي في المثل؟

1.4.نظرات تداولية في كتاب جمهرة الأمثال:

قدم العسكري لكتابه جمهرة بالأمثال بمقدمة احتوت على آرائه ونظرته العلمية التي أظهر من خلالها اقترابه من مصطلح الاستعمال اللغوي (التداولية)، فقال: " ولما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جل أساليب القول أخرجوها في أفواها من الألفاظ ليخفَّ استعمالها ويسهل تداولها" (العسكري، 1988 ، ص2)، وغير بعيد عن ذلك نجد فان ديك يقول:" الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين، أيضا في الوقت نفسه" (دايك، 2001 ، ص56)، وترتبط خاصية استعمال اللغة بالبعد الاجتماعي وتقوم بإفراغ اللغة المتداولة من القوة إلى الفعل؛ فالأمثال هي أقوال خطابية تستلزم وجود متكلم وسامع ولها قوة التأثير في الثاني، وذلك ما يضفي عليها الصبغة التداولية الخطابية يقول:" أنها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب" (نظيف، 2010 ، ص40)، ويستمد حقيقة ذلك من استدلاله ببعض النصوص القرآنية منها قوله تعالى :﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾(الحج، من الآية 35) ،ومنها قول تعالى:﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾(العنكبوت، من الآية 43)، وغير ذلك من الآيات القرآنية التي تبين منافع الأمثال وقيمتها في التداول بين الناس؛ فالأمثال بحسب العسكري تحمل مقاصد وغايات وهي الوصول إلى تعديل السلوك بالعظة وأخذ العبرة وهذا هو غاية التأثير بالقول كما يرى المنظرون للتداولية وعلى وجه التخصيص عند أوستين وسيرل الذَّينِ ركَّزا على نظرية الأفعال الكلامية ومتضمنات الفعل الكلامي الذي تحقق قيمته بما يعرف بالقصد؛ أي قصد المتكلم التأثير بقوله في مخاطبه (مقبول، 2014 ، ص1224) .

ينظر العسكري إلى الأمثال على أنها كلام ولا تقف عند حدود الجملة والتركيب بل تتجاوز ذلك إلى وراء الجملة أي الجانب النفعي والبعد الاجتماعي للغة ، ويعد الأمثال من أجل أنواع الكلام وله قيمة شرف

التأثير في إصلاح الأفراد ويبدو ذلك في قوله : " فهي أجلُّ الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله ..." ، ويقول أيضا عن المثل:" إنما هو في الكلام كالتنصيل في العقد والتنوير في الروض" (العسكري، 1988 ، ص3).

2.4.الإنشائية و المثل :

لبيان مفهوم الإنشاء في الأمثال يستوجب أن نبين ماذا يقصد بالإنشاء في النظرية التداولية وخصوصا ما ارتبط بجهد فيلسوف اللغة أوستين الذي تحدث وبين حقيقة ذلك في كتابه كيف ننجز الأشياء بالكلمات (أوستين، 1997، ص13)، وظهر في الكتاب فكرة أوستين حول إنجاز كثير من الأحداث والأشياء بالأقوال، والأفعال الإنجازية هي عبارة عن أفعال تنشأ وتبتكر بالأقوال مثل: التحذير والنصح والتوجيه والنهي والأمر وغير ذلك مما يحدث من ممارسة نشاط ما بعد الكلام مثل قولنا: لعليٍّ: تقدَّم خطوة إلىٰ الأمام، فبمجرد تلفظنا بالقول سيكون لذلك القول أثر وهو التقدم للأمام خطوة، وقد نتلفظ بقولنا لطفل: لا ترم الحجارة في الطريق وابتعد ؛ فإنه حتما سيتأثر بالقول وينتهي ويتوقف عن الفعل فهو بذلك أنجز حدثا بما سمعه من قول .

ويظل السؤال هل يمكن أن يندرج المثل تحت مفهوم الإنشاء؟ أي إنشاء أحداث كلامية كغيره من الأقوال ؟

نستطيع القول: مادامت الأمثال هي أقوال قد تساق للنصح أو التوجيه أو الأمر بشيء ما أو النهي عن شيء ما أو التحذير، فهي إذاً يمكن أن تكون إنشائية؛ أي أنها تتمتع بخاصية الإنشائية الكلامية، ويتأكد ذلك في أن كثيرا من الأمثال جرت في الاستعمال بصيغة الأمر أو النهي أو التحذير فضلا عن خروج بعضها إلىٰ الإنشاء وإن كان في صيغة التقرير أو الخبر، ويضاف إلىٰ ذلك أن المثل بوصفه قولا يجري في قالب لغوي شامل لعناصر التَّكلُّم اللغوي فهو . بطبيعة الحال . يتضمن أقسام الفعل الكلامي وما ينطوي عليه من أفعال ضمنية بحسب ما قرره أوستين، ونذكِّر هنا بأقسام الفعل الكلامي بحسب أوستين الذي جعلها ثلاثة أقسام وهي (بلانشيه، 2007 ، ص59):

1. فعل الكلام أو الفعل النطقي الصوتي: أي التلفظ بأصوات محسوسة يحدثها اللسان مصوغة في كلمات مركب تركيبا سليما بمقتضى قوانين النحو والدلالة .
2. قوة فعل الكلام وهو قول في سياق محدد .
3. لازم فعل الكلام: هو التأثير بالقول وناتجه في المخاطَب مثل: حثِّه أو نصحه أو توصيته أو تحذيره .

ويمكن التمثيل ببعض الأمثال من كتاب الجمهرة لبيان تحقق الإنشائية الكلامية في المثل

1. يقول المثل : (أَضِي لي، أَقْدَحُ لَكَ) (العسكري، 1988 ، ص 220)، قصد الحث على التعاون .
2. (ذَكَّرْتني الطَّعْنَ وكُنتُ نَاسِياً) (العسكري، 1988، ص 306)، القصد هو النصح والإرشاد.
3. (ألقِ دَلْوَكَ في الدِّلاءِ) (العسكري، 1988، ص 240)[1]،قصد بالأمر التوجيه.
4. (آخِرُ الدَّواءِ الكَيُّ) (العسكري، 1988،ص 502)،قصد بالمثل هنا النصح.

والحاصل أن الأمثال باعتبارها أفعالا إنشائية منها ما ورد بالأمر والنهي صراحة، ومنها ما ظهر في صورة ضمنية أي فعلها غير ظاهر، وذلك يتفق مع التقسيم المقترح للأفعال الإنشائية منها الصريح ومنها الضمني (أبوجادي، 2009، ص 80).

وتجدر الإشارة إل أن الأمثال تعد من قبيل الملفوظات الإنشائية تتعدد أشكالها منها التعبيرية ومنها التوجيهية، ومنها الإخبارية ومنها الوعدية الالتزامية.

3.4.خاصية القصد في المثل عند العسكري:

انبثقت خاصية القصد في المثل من كونه ملفوظا أو قولا يتعدى مدلوله شكله الخارجي المتمثل في بنائه اللغوي إلى أنه يراد به مقاصد وغايات تكمن فيما وراء اللغة، وسبق الإشارة إلى حال المتكلمين في استعمال اللغة منهم من يستعملها بقصد مباشر ومنهم غير ذلك أي: بقصد غير مباشر

ويرى ابن خلدون أن المتكلم هو فاعل الكلام، وكلامه يتضمن قصده وذلك في قوله:" اعلم أن اللغة في المتعارف عليه، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشيء عن القصد بإفادة الكلام" (ابن خلدون، 2005، ص461)

وعلى ذلك لا يمكن أن تتم محادثة دون وجود تفاعل بين المتكلم والسامع أثناء التلفظ من قبل المتكلم والتأويل من قبل المتلقي لمعرفة ما يريده المتكلم وما يقصده (القرني وآخرون، 2019، ص 103 ـ 118)، وينبني على ذلك أن الأقوال غالبا ما تعبر عن مقاصد المتكلمين وإن اختلفت الصياغة اللغوية وهكذا هي الأمثال أقوال تنطوي على مقاصد ضمنية تنجز بالكلمات.

ويكسب المثل خاصيّة القصد بحكم أنه فعل كلامي أو قول يترتب عليه إنجاز شيء ما كالنهي أو المدح أو الذم أو الوعيد أو النصح أو الدعاء فقولنا: (بِالرَّفَاءِ والبَنِينَ) (العسكري، 1988، ص 306) هو مثل سائر، القصد منه إنجاز فعل كلامي الدعاء؛ فالمتلفظ به يقصد الدعاء، والمثل: (إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاء الدِّمِن) (العسكري، 1988، ص 306) قول يترتب عليه قصد إنجاز فعل كلامي هو التحذير، ويقاس علىٰ ذلك كثير من الأمثال التي يقصد بها غير لفظها :

(ضَرَبَ أَخمَاسَ لأَسْدَاس) (العسكري، 1988، ص 306)؛ يقصد به إنجاز فعل كلامي وهو التعبير عن التحير،(خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَطُهَا) (العسكري، 1988 ، ص 220) قول عند التلفظ به أمام مستمع يغلب علىٰ حاله الإسراف أو التقطير في الإنفاق يفهم من ذلك أنه ينصح بالاعتدال وذلك القصد لا يظهر في البناء اللغوي للقول بل هو غاية وقصد المتكلم أن يأمر بالتوسط في الإنفاق.

ومما يُؤصِّل خاصيّة القصد في المثل ارتباطه ببلاغة الكلام فهو قول بليغ فدعا ذلك إلىٰ العناية بخاصية القصد فيها من البلاغيين العرب (الجاحظ، 2008، ص 55) فصار ذلك ركيزة من ركائز اهتمامهم ببلاغة الكلام فركزوا على دراسة الأحوال والمقاصد التي غايتها التأثير بالقول، وتعد صيغ التمثيل بحسب الجرجاني الأقدر على ذلك لعدة علل وأسباب (الجرجاني، 2009 ، ص104).

وأما في الدرس التداولي الحديث فكان غرايس من المهتمين بقصد المتكلم أثناء مناقشته لمسألة التفاعل التواصل بين طرفي الخطاب واشترط لنجاح التفاعل ما يقصده المتكلم وبما يسهل علىٰ المتلقي فهم الرسالة؛

فقصد المرسل لا بد أن يكون حاضرا في خطابه وهو ما يبينه السياق؛ إذ أن دلالة العبارة هي استلزام القول للمعنى الذي يقصد في السياق (الشهري، 2003، ص179)

وفي هذا الصدد يؤكد طه عبد الرحمن على جوهرية القصد وتأصله فيه وأنه سبب في وجوده يقول: " لا كلام إلا مع وجود القصد، والأصل في الكلام القصد" (عبد الرحمن، 1998، ص103).

وتتأسس على ذلك أن المثل بما هو قول أو عبارة متلفظ بها من مخاطِب إلى مخاطَب في سياق محدد يعتمد على قصد المتكلم في إبلاغ ما يريد إبلاغه من رسالته.

والحاصل من ذلك أن القصد في المثل . باعتباره خطابا ومظهرا تواصليا . يعد ركيزة مهمة لتجسيد المعنى المراد من المثل، والأمثال بشكل عام تخضع في دلالتها ومعناها التداولي إلى القصد لا إلى شكلها وبنائها اللغوي ودلالتها المعجمية ومن أهم المقاصد التي تتضمنها الأمثال العربية هي: النصح، والإرشاد، والتحذير، والإغراء ،والمدح، والذم، والوعد والوعيد، والأمر، والنهي ... .

هذا وقد ظهر ذلك في أغلب الأمثال التي دونها العسكري في جمهرة الأمثال حيث تنوعت مقاصدها وغاياتها عن نحو ما ذكر.

4.4.سياق المثل من منظور تداولي:

يقصد بسياق المثل هنا هو مجموع الملابسات والظروف التي تصاحب المثل، فكما هو معلوم أن الأمثال غالبا ما ترتبط بسياق مكاني وزماني فضلا عن العناصر الأخرى من الأشخاص وهم المخاطِب والمتلقي للخطاب؛ أي المثل؛ ويعني ذلك أن لكل مثل سياق ومقام ومناسبة.

هذا وقد كان للسياق بمفهومه التداولي حضورا متميزا في منهج العسكري في كتابه الجمهرة، فنجده غالبا ما يعتمد على ذكر المثل متلازما مع سياقه ومقتضى حاله؛ فيذكر المثل بنصه ثم يردفه بالشرح والتأويل وبيان ملابسات حدوثه وإنجازه، وهو ما يعرف في المصطلح التراثي (مورد المثل)،

"وهو الحالة التي قيل فيها ابتداءً" (يعقوب، 1993، ج1، ص42) وذلك يدعونا للقول بأن الأمثال أقوال تنجز في ظروف وملابسات مكانية وزمانية، وهي في الحقيقة تجسيد لمفهوم سياق المثل.

وهذا ما تؤكده التداولية المعاصرة فقد قرر أوستين: أن ما نستعمله من ألفاظ ينبغي أن نرجع في بيان معانيها والغاية تأويلها إلى سياق الكلام ومقتضى الحال الذي جرت فيه المحادثة الكلامية[2]، وفي ذلك تأكيد لبعد الاستعمال اللغوي الذي تحقق في ضوئه مقاصد المتكلمين وأهدافهم وغاياتهم فتحقق بذلك الفائدة العملية من الخطاب، ولسياق المثل عند العسكري أهميته في إيصال المعنى وتحقيق تواصل ناجح بين المتكلم والناطق بالمثل والمستمع إليه، وما ضُرِبتْ الأمثال إلا للاستماع والتمثل بها والتأثير بها.

فالخطاب اللغوي مهما كان نوعه لا يكون واضحا ولا مفهوما إلا في سياقه، يقول السكاكي في مفتاحه: " ولا يتضح الكلام في جميع ذلك إلا بالتعرض لمقتضى الحال " (السكاكي، 1987 ، ص255 .).

لذلك نقول: إن فكرة تداولية المثل متضمنة في ارتباط المثل بالسياق من جهة ومن وجود مخاطب ومستمع من جهة أخرى، والسياق المتصاحب مع الأمثال هو سياق تداولي بامتياز يتم في ضوئه تأويل الأمثال وتفسيرها

في قالب أفعال كلامية تمثل بعدا تواصليا يتضمن خاصية التعبير عن ما يراد إنجازه من مقاصد كالنصح أو التحذير أو التوجيه وغيرها.

وتنبَّه أبو هلال العسكري إلى أهمية السياق ودوره في جلاء غايات المتكلمين ومقاصدهم وتحقيق الفائدة للمستمع وربطه بالمثل في أغلب الأمثال التي ذكرها في كتابه ويمكن التمثيل لذلك بالآتي:

يقول المثل: (خُذْ مِن جَذعٍ مَا أَعْطَاكَ) (العسكري، 1988، ص 220)، يقول العسكري في بيان سياق المثل: يضرب المثل في اغتنام القليل من الرجل البخيل؛ وأصله أي مضربه وسياقه، فيقول: إن مصدقا جاء ثعلبة رجلا من أهل اليمن فسامه أكثر مما يلزمه، فقال: هذاك جذع آخر فاذهب إليه يعطيك ما تسأل، فذهب إليه؛ فَسَلَّ جذع سيفه فقتله به، فقال له أخوه ثعلبة خذ من جذع ما أعطاك فذهبت مثلا.

ومن الأمثال التي جرت في سياقها جاء في كتاب جمهرة الأمثال قول القائل:(يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوكَ نفَخَ) (العسكري، 1988،ص 502)، ولذلك المثل سياقه وملابسات ظروفه التي ساعدت على إنجازه وإنتاجه.

وأصله كما ذكر العسكري يقال لمن يوقع نفسه في مكروه، فهو يقال للتحذير والنصح للأخذ بأسباب الحذر والوقاية.

أما عن أصل المثل وسياقه كما يبدو من عرض مضرب المثل أو تلك القصة التي صاحبت إنتاج المثل . كما أوردها العسكري . أنه جرى في سياق وظروف مكانية وزمانية مع وجود أشخاص يمثل جميعهم سياق المثل.

وهكذا يسير أبو هلال العسكري في عرض مادة كتابه حيث يذكر المثل وغالبا ما يكون متصاحبا مع سياقه، وهو عبارة عن قصة قصيرة تكون مقدمة لإنجاز المثل.

5.4.المثل ومبدأ التعاون الكلامي في كتاب جمهرة الأمثال.

مع تنامي البحث في التحليل التداولي ظهر على سطح البحث جانب مهم في تحليل الأقوال والغوص في عمقها التداولي بعيدا عن مقتضاها الدلالي، حيث برز ما يعرف بالاستلزام الحواري الذي المرتبط بفيلسوف اللغة (غرايس) حيث تعرض للحديث عنه في محاضراته بجامعة هارفارد سنة 1986م، ونجم عن ذلك الجهد اعتبار مسالة الاستلزام الحواري من النظريات البارزة في التحليل التداولي، وتنطلق فكرة الاستلزام الحواري بحسب غرايس من أن ما يقوم به المتكلمون من حوارات ينطوي على غايات ومقاصد قد تتطابق وقد تتجاوز ما يقولون، في أحيان أخرى قد تجري أقوالهم عكس ما يقصدون؛ فاقتضى ذلك ظهور ما يعرف بمبدأ التعاون الكلامي بين المتكلم والسامع أو بمعنى أدق بين المخاطَب والمخاطِب. ويندرج تحت هذا المبدأ قواعد فرعية وهي لخصها أبو جادي في الآتي (أبوجادي، 2009، ص 80):

1. مبدأ الكم: أي اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون زيادة أو نقصان.
2. مبدأ الكيف: أن يكون الخطاب صائبا وحقيقيا له براهينه وأدلته.
3. مبدأ المناسبة: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع .
4. مبدأ الطريقة: بمعنى؛ كن واضحا ومحددا فتجنب الغموض واللبس وأوجز ورتب كلامك .

والسؤال المطروح هنا إلى أي حد يمكن تحقق تلك المبادئ والقواعد التي أقرها الدرس التداولي الحديث؟ أقول أن كثير من تلك المبادئ قد تنبه إليها علماء اللغة العرب وخصوصا البلاغيين منهم في تركيز علىٰ بعض المصطلحات والمفاهيم التي تقترب في مدلولها ومعناها مع تلك المصطلحات الغربية، وتعد الأمثال والحكم وهي خير تطبيق لتلك المبادئ.

فلو أمعنا النظر في بناء جُلِّ الأمثال التي ذكرها العسكري وغيره من جامعي الأمثال أن مبدأ الكم قد تحقق فيها ويتمثل ذلك في ما عرف في الدرس البلاغي (الإيجاز)، ويعرف بأنه:" جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والإيضاح" (العسكري، 1980 ، ص80)، فلا أوجز من الأمثال في كلام العرب؛ لذلك يعد الإيجاز سمة من سمات الأمثال، وقد أكد العسكري ذلك في قوله:" ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب" (العسكري، 1980 ، ص5) ، وبالإيجاز تحدد كمية الكلام بين المتكلم والسامع ويجعل التعبير في الحوار محكوما بضابط الكمية وهنا يكون القصد أحيانا متجاوزا القول (اللفظ القليل للمعنى الكثير ويتحقق مبدأ الكم في بناء الأمثال من عدد ألفاظها فبعض الأمثال تتركب من لفظين وبعضها من ثلاثة وقد يتجاوز ألفاظ المثل الثلاثة إلىٰ الأربعة أو الخمسة ومن ذلك مثلا :

(أَلقِ دَلْوَكَ فِي الدِّلاءِ) ، (أَعْطِ الْقَوسَ بَارِيهَا) ، (أَرْسِلْ حَكِيماً وَلاَ تُوصِهِ) ، (ذَكَّرَتَنِي الْطَّعْنَ وكُنتُ نَاسِياً). (العسكري، 1988، ص 43 .55)

أما من حيث **الكيف** فإن الأمثال تعد خطاباً صائباً وتتضمن البرهان والحجة التي يحقق لها الصدق بين المتخاطبين بما يحقق لهم تعاونا كلاميا ناجحا، فكل مثل يكون دليلا وبرهانا على قول قائله؛ وذلك تضمنته كثير من الأمثال في كتاب الجمهرة، ومنها ما سبقت الإشارة إليه.

وأما مبدأ **المناسبة** في الأمثال فإنها هي ألصق الأقوال بالمناسبة، ومناسبة المثال هي مضربه وموضوع التمثل به فلكل مثل مناسبة تناسبه، ومتى جاءت المناسبة حضر المثل ونطق به، والأمثال أقوال أو مقالات لها مقاماته (لكل مقام مقال) ولكل مثل مضرب ومناسبة.، ظهر في كتاب الجمهرة كثير من الأمثال مصحوبة بمناسباتها ، ومن ذلك ما جاء في ذكر مناسبة المثل القائل: (إِيَّاكِ أَعْني واسْمَعي يَا جَارة) وفي قولهم: (أَوَّلُ الغَزوِ أَخْرقُ) وغيره من الأمثال التي لا يتوانى العسكري فيذكر مناسبتها. **(العسكري، 1988،ج1،ص35)**. فهذا الأمثال ومثيلاتها " تؤخذ وتستعمل في الموضح التي تصلح لها" **(العسكري، 1988، ج1،ص6)**

وأما مبدأ **الطريقة** فقد جاء عرض الأمثال عند العسكري عرضا يتسم بالوضوح والإبانة وسهولة العرض وينتقي الألفاظ التي لا لبس فيها ولا غموض، يحدد كلماته ويرتّبها في شيء من الإيجاز وهو في ذلك يتقارب مع ما توصل إليه القائلون بمبدأ الطريقة في التعاون الكلامي في قولهم في ذلك (كن واضحا ومحددا فتجنب الغموض واللبس وأوجز ورتب كلامك) ونجد ذلك واردا عند العسكري في أكثر من موضع ومن ذلك مثلا :في ذكره (**أَخُوكَ مَن صدَقَكَ**) فيتسم هذا المثل بالوضوح والترتيب اللفظي إلا أن العسكري يشرحه بأيسر الألفاظ وأوضحا فيقول:" يعني به صدق المودة، له معنى آخر وهو يصدقك عن عيوبك لأن عيوب كل نفس تستر عنها وتظهر لغيرها" **(العسكري، 1988،ج1،ص72)** ؛ وهذه الطريقة في مراعاة المخاطب بحيث يصاغ له الكلام في أفضل طريقة من الوضوح والإبانة ما ذكره العسكري في حديثة عن المثل القائل (**أَوَّلُ**

العَيّ الاخْتلاطُ) حيث ذكر " الاختلاط : الغضب ، ومعناه أن الرجل إذا عجز عن دفع خصمه بحجة قاطعة أظهر الغضب ليجعله سببا إلى التخلص منه" **(العسكري، 1988، ج1،ص 19)**.

ويمكن القول: إن كثيرا من الأمثال التي ذكرها العسكري في كتابه الجمهرة اتسمت بالوضوح والإبانة ورعي فيها ترتيب الكلام وتحديده مراعاة للمخاطب وفي ذلك ملمح تداولي فيه إشارة لمبدأ التعاون الكلامي.

خلاصة القول: إن الأمثال كما وردت في كتاب الجمهرة اشتملت على إشارات وملامح يمكن اعتبارها أصولا تتقارب مع قواعد مبدأ التعاون الكلامي التي اقترحها الباحثون الدرس التداولي الحديث تحت مسمى (الاستلزام الحوار وما تمخضت عنه من مبادئ مثل مبدأ التعاون الكلامي ، فالتفكير سابق عند العسكري إلا أنه لم يصل لصياغة المصطلح وضبط التنظير.

5.خاتمة:

خلص البحث إلى جملة من النتائج نذكر منها:

1. تبين من البحث أن المثل جنس أدبي يمثل في مفهومه تقاربا تداوليا وهو قابل للدراسة والتحليل وفق آليات تحليل الخطاب والمبادئ التداولية.
2. أظهرت الدراسة أن منهج العسكري في كتابه جمهرة الأمثال كان منهجا يتقارب مع المناهج التداولية في تفسيره وشرحه للأمثال باعتماده على السياق، وكذلك نظرته الاجتماعية للأمثال.
3. بينت الدراسة أن الأمثال هي أقوال صالحة لإنجاز أفعال كلامية مثل النصح والإرشاد والأمر والنهي، والتحذير وغير ذلك.
4. تعد الأمثال تطبيقا لمبدأ التعاون بين المتخاطبين ويعود ذلك لتحقق قواعد مبدأ التعاون الكلامي التي اقترحها الباحثون الدرس التداولي الحديث تحت مسمى (الاستلزام الحوار وما تمخضت عنه من مبادئ مثل مبدأ التعاون الكلامي
5. احتواء مدونة الأمثال العربية على كثير من الملامح والإشارات التداولية تستحق البحث والدراسة وإن لم تظهر في شكل نظري فهي ميدان خصب من المنظور التطبيقي.
6. يعد مصطلح القصد من المصطلحات المتأصلة في الدرس البلاغي العربي عموما وفي الأمثال على وجه الخصوص.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. بلانشيه، فليب،(2007م) التداولية من أوستين إلى غوفمان تر/ صابر حباشة، دار الحوار، اللاذقية . سوريا.
2. بو جادي، خليفة، (2009م) في للسانيات التداولية، بيت الحكمة، بيروت.
3. الجاحظ، أبو عمرو عثمان، (1998م)، البيان والتبيين، تح/ عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة .
4. الجرجاني عبد القاهرة، (1991م)، أسرار البلاغة، تح/محمد رشيد، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت.

5. جورج، أوستين، (1997م)، نظرية أفعال الكلام العامة، تر/ عبد القادر قينيني، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.
6. الحموي، ياقوت، (1960) ، معجم الأدباء، ضبط/محمد الخانجي وآخرين، مكتبة السعادة، القاهرة .
7. ابن خلدون، عبد الرحمن (2005م) مقدمة ابن خلدون، تح/سعيد عقيل، دار الجيل، القاهرة.
8. دوواد، أماني، (2005 م) ،الأمثال العربية القديمة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت.
9. ديك، فان،(2000م)علم النص، تر/ عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، م.
10. الزمخشري، جار الله أبو القاسم(2000 م)، ساس البلاغة، دار الكتب العلمية، القاهرة .
11. السكاكي، (2001)، مفتاح العلوم، دار الفكر، بيروت .لبنان،
12. السيوطي، جلال الدين ، (1998م)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح/ فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت.
13. الشهري،عبد الهادي،(2003 م) استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، طرابلس .ليبيا
14. صحراوي، مسعود، (2008م) التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر.
15. طبانة، بدوي، (1988م)،كتاب أبو هلال العسكري، مكتبة دار الفكر، القاهرة.
16. ابن عبد ربه، (1305هـ) ، العقد الفريد، المطبعة الشرقية، القاهرة .
17. عبد الرحمن، طه(1998م) اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
18. العسكري، أبو هلال، (د . ت).كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تح/عزة حسن، دار طلاس، بيروت.
19. القرني، شريفة، (2019م) البعد القصدي لتداولية أفعال الكلام في الخطاب القرآني، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية . المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، العدد الأول . المجلد الثالث، يناير، ص ص103 .118.
20. المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تح/ عبد السلام هارون، دار النهضة، القاهرة، ط2، 1951م
21. مقبول، إدريس، (2014م) في تداوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد 28، ص1208 .1224.
22. ابن منظور، عمرو بن مكرم، (2008م) لسان العرب، دار صادر، بيروت.
23. نخلة، محمود، (2006م)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
24. نظيف، محمد، (2010م)، الحوار وخصائص التفاعل الاجتماعي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء
25. يعقوب، أميل عبد البديع، (1995م) ، موسوعة الأمثال العربية، دار الجيل الجديد، بيروت.